الفصل الأول

الدعوة السلفية عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١١١٥ هـ / ١٧٠٠ م-١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م)

ويشمل:

- تمهيد.
- نشأته وعصره.
- جوهر دعوته.
- وسائل الدعوة عند ابن عبد الوهاب.
- أثر دعوة ابن عبد الوهاب السلفية في حركات الإصلاح الديني.
- تعقيب.

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

عندما نقول "السلفية..... والسلفيون" فإننا نعني بهذه التسمية أولئك القوم الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري، وكانوا من الحنابلة الذين تقوم آراؤهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١ هـ / ٧٨٠-٨٥٥ م) الذي أحيا عقيدة السلف، وكان متشدداً في الالتزام بالنص الذي جاء به القرآن، ومما ورد صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحاديث، وقد تجدد ظهورهم في القرن السابع الهجري بقيادة شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨ هـ / ١٢٦٣-١٣٢٨م) وابن قيم الجوزية (٦٩١- ٧٥١ هـ /١٢٩٢ - ١٣٥٠ م) .

وكان جوهر هذه الدعوة هو العودة إلى القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، فالقرآن وصحيح السنة هما الحكم الوحيد في تقرير الحكم الشرعي، فلا حلال إلا ما حلاله، ولا حرام إلا ما حرماه، والحق كل الحق فيما قرراه وأثبتاه.

على هذا المنهج كان الصحابة وحذا حذوهم السلف الصالح من الأمة، ثم خلف من بعدهم خلف بدلوا وغيروا، وأضافوا وإبتدعوا، وصاحب هذا التبديل والتغيير تعقب وتمزق، وشتات وتفرق، وانقسمت الأمة الواحدة الموحدة، إلى فرق وطوائف ومذاهب ومدراس، وكل فريق يزعم أنه الناجي، وكل حزب بما لديهم فرحون،

ويأتي ابن تيمية ويجد أن طرائق العلماء في فهم العقائد الإسلامية في عصره تنقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الفلاسفة، وهؤلاء يقولون: إن القرآن جاء بالطريقة الخطابية والمقدمات الإقناعية التي تقنع الجمهور، ويدّعون أنهم أهل البرهان واليقين، والعقائد طريقها البرهان واليقين.

القسم الثاني: المتكلمون، وخاصة "المعتزلة" وهؤلاء يقدمون قضايا عقلية قبل النظر في الآيات القرآنية، فهؤلاء يأخذون بالنوعين من الاستدلال، ولكن يقدمون النظر العقلي على الدليل القرآني.

القسم الثالث: طائفة من العلماء تنظر إلى ما في القرآن من عقائد فتؤمن به، وبما فيه من أدلة، لا على أنه أدلة هادية مرشدة موجهة، بل على أنها آيات إخبارية يجب الإيمان بما اشتملت عليه من غير أن يتخذ مضمونها مقدمة للإستنباط العقلي.

والقسم الرابع: قسم يؤمن بالقرآن، عقائده وأدلته، ولكنه يستعين بالأدلة العقلية بجوار الأدلة القرآنية[1].

وقد رفض ابن تيمية هذه المذاهب كلها، لأن منهاج السلف ليس واحداً منها، بل هو غيرها لأن العقائد لا تؤخذ إلا من النصوص، ولا تؤخذ أدلتها إلا من النصوص، وينتهي ابن تيمية من هذا كله إلي أنه لا سبيل لمعرفة العقيدة عند السلف، وكل ما يتصل بها إجمالاً وتفصيلاً واعتقاداً واستدلالاً إلا من القرآن والسنة[2].

وكانت أهم مسألة شغلت ذهنه هي مسألة التوحيد، والوحدانية في العبادة معناها ألا يتجه العبد في العبادة إلى ما سوى الله، وذلك يقتضي أمرين: ألا يعبد إلا الله وحده فمن أشرك مع الله تعالى شخصاً أو شيئاً فقد جعل مع الله آلهة أخرى[3] "فدين الإسلام مبني على أصلين: أن يُعبد الله وحده و لا يشرك به، وأن يعبد بما شرعه على

---

(1) أنظر هذا الموضوع: الشيخ محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج١، ص٢٢٦ دار الفكر العربي.

(2) الكتاب نفسه، ص٢٢٧.

(3) ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص١٥٨، جـ١ المكتب الإسلامي، ١٣٩٠ هـ.

لسان نبيه، وهذان هما حقيقة قولنا: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله"[1].

وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه، وحسم مراد الإشراك به حتى لا يخاف أحد غير الله، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه، وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يحقق هذا التوحيد لأمته حين قال لهم: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد، وقال لرجل قال له: ما شاء الله وشئت: أجعلتني لله نداً؟ وقال: من حلف بغير الله فقد أشرك"[2].

ومادام الله سبحانه هو المستحق للعبادة وهو وحده المنفرد بالربوبية وهو وحده مالك الأمر في الدنيا والآخرة، فإنه لا ينبغي لأحد أن يتوسل إليه بغيره، أو يوسط بينه وبين أحد من خلقه،أو يستغيث بأحد من أنبيائه وأوليائه بعد موته، فمن أثبت وسائط بين الله وخلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك[3]، وقد تهدد الله تبارك وتعالى من دعا شيئاً من دون الله ، وبين أنهم لا ملك لهم مع الله،ولاشركاء في ملكه، وأنه ليس له عون ولا ظهر من المخلوقين فقطع تعلق القلوب بالمخلوقات رغبة ورهبة وعبادة واستغاثة[4]، كما أنه لا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين والميتين لأن ذلك له شرك[5].

---

(1) الكتاب نفسه، ص١٥٨.

(2) ابن تيمية: الواسطة بين الخلق والحق، ص١٩، ط المكتبة العلمية- لاهور.

(3) نفسه، ص٢١.

(4) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص١١١.

(5) المصدر السابق، ص١٥٤.

فشهادتنا "أن لا إله إلا الله" تقتضي ألا نعبد غيره، وشهادتنا "أن محمداً رسول الله" تقتضي أن مهمة الرسالة بيان الطريقة المرضية لله في عبادته، وأن الخروج عن هذه الطريقة يتنافى مع هذه الشهادة بل يُنقصها[1].

ولم يقف ابن تيمية عند هذا الحد، فقد دعا إلى فتح باب الاجتهاد، وحارب الجمود والتقليد والتعصب وكان يقول ما قاله الإمام أحمد: لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي، وتعلم كما تعلمنا، وحرام على الرجل أن يقلد في دينه الرجال فإنهم لم يسلموا أن يغلطوا والتفقه في الدين فرض، فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقها في الدين[2].

وهكذا فقد نادى ابن تيمية بأن يرجع المسلمون إلى الكتاب والسنة قبل أن يرجعوا إلى القياس والرأي، كان يريد إسلاماً وجماعة إسلامية أساسها الكتاب والسنة.

وقد لقيت أراء وتعاليم ابن تيمية خير تعبير عنها في دعوة قامت خلال القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، تدعو إلى النهوض بالإسلام وإصلاح أحوال المسلمين بتطهير الإسلام وتخليصه مما علق به من أدران الوثنية وغيرها من مظاهر الشرك، وصاحب هذه الدعوة هو الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

نشأته وعصره:

ولد محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ هـ / ١٧٠٠ م) وتوفي (١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م).وهو قد ولد ونشأ في بيئة نجد العربية البدوية، وكان سليل أسرة من الشيوخ الفقهاء، أخذ عنهم فقه الإسلام الواضح والبسيط ، وعندما رحل إلى المدينة،

---

[1] ابن تيمية: العبودية، ص١٧٠، ط .المكتب الإسلامي، ١٣٩٢ هـ.

[2] تاريخ المذاهب الإسلامية، جـ١، ص٢٣٠.

obeikandl.com

طلباً للمزيد من العلم، تقبل ما وافق بساطة البادية، ورفض ما نحا نحو الفلسفة وجدل علماء الكلام، فلما ذهب إلى البصرة ومدن أخرى غيرها، أنكر ما رآه أو سمعه فيها من بدع وخرافات، ومن علوم لا تتفق مع النمط الفكري الذي استراحت إليه نفسه، والذي كان الامتداد لإسلام العرب في بداوتهم الأولى، قبل نشأة علم الكلام وترجمة الفلسفة اليونانية، وتأثر المسلمين بما لشعوب البلاد المفتوحة من عادات وقيم وعقائد وأنماط في السلوك، وهو الإسلام السلفي البسيط، الذي اعتصم أمام التطور وعلومه بتلك الحصون الفكرية التي صنعها كوكبه من العلماء، أشهرهم أحمد بن حنبل، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية.

وكان العالم الإسلامي في العصر الذي نشأ فيه ابن عبد الوهاب يعاني من الانحطاط والضعف والتدهور في كثير من نواحي الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية، بسبب تفشي الجهل، ووقوعه فريسة التخلف العلمي والجمود الفكري، والانحرافات عن جادة الإسلام الصحيح، وتسرب الكثير من أنواع الشرك والبدع والخرافات[1]

وأدرك الشيخ ابن عبد الوهاب أن مصدر هذا التدهور والانحلال، ابتعاد

المسلمين عن الإسلام الصحيح، حتى لقد انتشرت أنواع خطيرة من الشرك ودعوة الأحياء والأموات من الأولياء الصالحين، واشتراكهم فيما يُعبد الله به من الذبح

والنذور والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق لله وحده لا شريك له، بل التزول

---

[1] حسين بن غنام: تاريخ نجد (روضة الأفكار والأفهام)، تحرير ناصر الدين الأسد، ص٩-١٠.

إلى تقديس الجمادات كالأحجار والأشجار والاعتقاد في قدرتها على جلب النفع ودفع الضر.[1]

ومن هنا كان التحدي الأول والأساس الذي نهض لمواجهته ابن عبد الوهاب هو ما طرأ على الإسلام كما فهمه العرب الأوائل، وكما وعته البيئة العربية في طور بداوتها، من بدع وإضافات ومحدثات، سواء أكانت وليدة الخرافة والشعوذة، أو ثمرة للمجتمعات المتمدنة ذات الحياة الفكرية المعقدة والمركبة، أو مزيجاً من هذين المصدرين معاً.

جوهر دعوته:

ووجد ابن عبد الوهاب، بالإسلام السلفي البسيط، كما وعاه وبطبيعة البيئة البدوية البسيطة التي نشأ فيها، أن الزمن قد عاد سيرته الأولى، وأن "الشرك" قد تسرب إلى عقائد المسلمين، وأنهم قد غدوا يتخذون من الوسائط والوسائل "زلفى" يتقربون بها إلى الله الواحد، وإنهم قد عادوا إلى موقف الجاهلية الأولى عندما اتخذوا الأوثان وسائط تقربهم إلى الله **{ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}**[2]

فحكم الرجل على أولئك الذين سلكوا هذه السبل بالشرك، لأنهم وإن"وحدوا الألوهية "إلا أنهم " أشركوا في العبادة " عندما اتخذوا الوسائط كي تقربهم إلى ذات الإله الواحد ، بل لقد رأى في شرك معاصريه كفراً أعظم من ذلك الذي قاتل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بسببه أصحاب الجاهلية العربية الأولى ، لأن معاصريه يلجأون إلى وسطائهم في السراء والضراء ، على حين كان مشركوا الجاهلية الأولى لا يلجأون

---

[1] محمد بن عبدالوهاب: القسم الخامس من مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية)، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص٣٦.

[2] سورة الزمر: الآية ٣.

obeikandl.com

إليها إلا في السراء، ومن ثم فلقد قرر بعد أن حكم بكفرهم وشركهم أن قتالهم واجب، بحكم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل من يؤمن بالله، وكتب في أحد رسائله يقول :

"إنّ كفر المشركين من أهل زماننا، أعظم كفراً من الذين قاتلهم رسول الله، قال الله تعالى {**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا**}[1] فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ، ولم يستغيثوا بهم، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له، واستغاثوا به وحده، فإذا جاء الرجاء أشركوا. وأنت ترى المشركين، من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة، وإذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله، مثل معروف الكرخي، أو عبد القادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء، مثل زيد بن الخطاب، والزبير، وأجل من هؤلاء، مثل رسول الله. وأعظم من ذلك وأثم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة"[2]

لقد أراد ابن عبد الوهاب أن يجدد الإسلام، والتوحيد هو جوهر عقائده ومحورها، فركز الجهد الفكري كله على تنقية عقيدة التوحيد الإسلامية مما شابها وطرأ عليها بعد عصر الإسلام العربي، أو إسلام العرب الأوائل قبل عصر الفتوحات.

وفي رأينا أن عقيدة التوحيد هذه قد بلغت قمة التنزيه في "التجريد" المعتزلي الذي بلغ حد نفي زيادة الصفات عن الذات، والقول بخلق القرآن وحدوثه. حتى لا تكون هناك شبهة لتعدد القدماء تشوب وحدانية القديم سبحانه.

---

[1] سورة الإسراء: ٦٧.

[2] ابن عبد الوهاب، "مجموعة التوحيد"، رسالة: هدية طيبة، ص١٥٦، طبعة المكتبة السلفية، القاهرة.

فهم قد اتجهوا إلى نفي الصفات، فأثبتوا الذات الإلهية ذاتاً قديمة بعيدة عن كل أنواع التركيب، منزهة عن مشابهة المخلوق، ونفوا عنها كل المفهومات الإنسانية،التي يمكن أن تُخلع عليها، كما اعتبروا الصفات عين الذات، ولهذا رماهم خصومهم بأنهم معطلة[1] بمعنى أنهم يجردون الذات عن صفاتها، ولكن وجه الحق في المشكلة هو أن المعتزلة لم يجردوا الذات الإلهية عن صفاتها تماماً،بل هم أثبتوا أن الصفات عين الذات، فلا وجود لصفات زائدة عليها.

نجد هذا عند واصل بن عطاء، رأس فرقة المعتزلة، إذ قال:

"ومَنْ أثبت معنى صفته قديمة[2]، فقد أثبت إلآهين، وهذا يعني بعبارات أخرى أن إثبات ما هو قديم، حتى ولو كان صفة، إلى جانب الذات الإلهية، معناه إثبات قديمين: الذات، والصفة وعندئذ يكون بمثابة من يثبت إلآهين.

ويقول أبو الهزيل العلاف (١٣٥ هـ - ٢٢٦ هـ):

"إن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدرة وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته".

وكان يقول:

"معنى أن الله عالم أنه قادر، ومعنى أنه حي أنه قادر، وهذا لازم له مادام لا يثبت للباري صفات إلا على سبيل أنها هي هو. وكان إذا قيل له: فلم اختلفت الصفات، فقيل عالم، وقيل قادر، فكان يجيب: لاختلاف المعلوم والمقدور"[3]

---

(1) راجع: الدكتور أبو الوفا التفتازاني، علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الرائد العربي، ص ١٢٠-١٢١، ط.١٩٦٦ م.

(2) الشهرستاني، الملل والنحل، جـ١،ص٤٦، تحقيق سيد كيلاني، القاهرة، ١٩٦١م.

(3) الملل والنحل، جـ١، ص ٤٩-٥٠.

obeikandl.com

فأثبت العلاف صفات الذات الإلهية على أنها عين الذات، فإذا أضفنا صفة العلم إلى الله فهذا إثبات علم هو الله، ونفي الجهل عنه ومعنى أن الله عالم عنده هو معنى أنه قادر، ومعنى أنه قادر هو معنى أنه حي، بحيث يمكن اعتبار هذه الصفات الثلاث عنده، وهي العلم والقدرة والحياة، بمثابة وجوه أو أحوال الذات الإلهية، واختلاف الصفات كالقدرة والعلم، راجع عنده إلى اختلاف المعلوم والمقدور، وهو ليس اختلافاً حقيقياً.

وفي رأينا أن ما دعا المعتزلة إلى القول بنفي الصفات هو الدفاع عن العقائد الإسلامية ضد مذاهب المشبهة والمجسمة الذين شبهوا الذات الإلهية بذوات المخلوقين، واعتبروها أحيانا جسماً له صفات الجسم، لدرجة أن الغلاة منهم غلوا في حق الأئمة حتى أخرجوهم من حدود الخلقية، وحكموا عليهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من أئمتهم بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم متأثرون في ذلك بمذاهب الحلول والتناسخ ومذاهب اليهود والنصارى، إذ اليهود قد سبقوهم إلى تشبيه الخالق بالخلق[1].

فالمعتزلة، فيما يبدوا لنا، كانوا يخشون أن يؤدى قول بعض الصفاتية في إثبات الصفات، مستقلة عن الذات، إلى اعتبارها جواهر مستقلة أو أقانيم، كما هو الحال عند النصارى الذين يعتبرون الأقانيم صفات مشخصة.

لكن فكر المعتزلة الفلسفي كان وليد مجتمعات متحضرة، واستجابة إيجابية لتحديات فكرية فلسفية، فيذكر الشهرستاني أن العلاف اقتبس رأيه في الصفات من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته تعالى واحدة لا كثرة فيها بوجه، وإنما الصفات ليس

---

[1] راجع في هذا: البغدادى (عبد القاهر): الفرق بين الفرق، القاهرة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠ م، ص ١٤، الملطى: "التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع" استانبول، ١٩٣٦م، ص١٥..

وراء الذات معاني قائمة، بل هي ذاته [1]، والأشعرى في مقالاته [2]، يشير إلى أن أبا الهذيل العلاف قد أخذ رأيه في ذات الله عن أرسطاطاليس الذى قال في بعض كتبه أن البارى علم كله، قدرة كله، حياة كله، فأعجب أبو الهذيل بذلك، وقال علمه هو هو، وقدرته هي هو.

ومن هنا كان هذا التنزيه "المعتزلى" غريباً ومرفوضاً من ابن عبد الوهاب الذى رفض حتى الإستدلال "بالقياس" حتى ولو كان قياساً صحيحاً، ووقف عند ظواهر النصوص القرآنية والنبوية، ورفض أن يلجأ في فهمها إلى التأويل[3] واستقر الرأي في "الوهابية" على أن "الرأي" لا وزن له بجانب "النص"[4].

فكان ضرورياً، في رأى ابن عبد الوهاب، لانتظام الناس في سلك عقيدة موحدة، ومساواة عادلة، أن تتقدم مرتبة الإيمان، فيطلب إليهم قبل كل شئ أن يؤمنوا، ولو ترك للعقل والعلم ما وكل للإيمان، لما استطاعا أن ينظما الناس في سلك واحد، إذ كما يقع الاختلاف بين العالم والجاهل يقع بين العالم والعالم، فلا يمكن جمع العلماء على نظريات علمية يختلفون في إدراكها إلا إذا أصبحت عندهم من البدائة- أي في درجة الإيمان - ولكن العقيدة في إمكانها أن تجمع بين المختلفين مهما اتسعت مسافات الاختلاف بينهم، ولا سيما إذا كانت سهلة ميسرة كالعقيدة الإسلامية التي بدأت بالتوحيد.

---

[1] الملل والنحل، جـ١، ص ٥٠.

[2] مقالات الإسلاميين، ص ٤٨٣-٤٨٥.

[3] ابن عبد الوهاب، "مجموعة التوحيد" رسالة: هذه مسائل الجاهلية، ص ٨٧، طبعة المكتبة السلفية، القاهرة.

[4] أنظر: عبد الكريم الخطيب: "الدعوة الوهابية"، ص١٢، طبعة القاهرة، سنة ١٩٧٤م.

وعند ابن عبد الوهاب أنه في الإمكان أن تكون مسئولية الجميع متساوية أمـــام العقيدة، من حيث اختلاف المسئولية، ولا يمكن أن تتساوى أمام العلم والعمـــل، لأنّ إدراكات العقل متفاوتة بحسب الذكاء،وما يُدرك من مسائل العلم، ودرجات العمـــل متفاوتة بحسب الذكاء، والفكر والقوى المبذولة، أما العقيدة فلا تحتاج إلى جهد مـــن عمل أو موفور من عقل وذكاء، بل يكفي فيها صحة العقل وسلامته من الآفة، ولذلك بدأ بالعقيدة لإمكان التساوي فيها بين من يعرف الدليل، ومن لا يستطيع ذلك.

وقد بدأ الإسلام بالإيمان وجعله الفرْض الأول ليكون حصناً يحمى الحضارة التي تبنيها العقول والجهود من أن تتسلط عليها معاول الهدم التي كـــانت هـــي الأدوات الدائمة في يد الكفر والإلحاد، أما من يطلبون أن يعمل العقل أولاً ليدرك من نفسه وجه الإيمان، فأولئك دعاة السير في الظلام، لا يهتدي إلى حق ولا باطل، وهي منزلة أشـــد خطراً على الإنسان من انعدام الإيمان، فالإيمان يثبت العقل إذا اضطرب ويؤنســـه إذا استوحش، ثم يدفعه ليرى في ضوء ساطع ونور واضح.

وحين سبق الإسلام بمرتبة الإيمان، وعبادة الإله الواحد المنزه عن الشبيه، تـــرك للعقول أن تنقلب في حدود مقدمتها لتضع الدليل، وهي رحمة بالعقول، ودفع للثقة بمـــا تفعل، فقد حرضها على أن ترى الغائب من الشاهد، والصانع من الصنعة، والوحدانيـــة من اتساق النظام في الكون المخلوق، وإذا لم يفعل العقل ذلك جهل ذاته وجوهره.

وحفاظاً على كيان العقل وجوهر ذاته، وتسديداً له ليسير في طريق العلم النافع، تيسيراً للجهود أن تسلك طريق السلامة، حارب الإسلام السحر والتنجيم والخرافـلت، ولم يرض بغير ما يسمو بالعقيدة، ويسدد طريق العبادة، ويقوم الخلق، ويرقق الطبـــاع ويرهف الملكات، وينظم المعاملات، ويحسن كل مقومات الحياة.

وقدم الإسلام دواءه الناجع في تعاليم وأحكام بناها على الحوادث اليومية في مدى ثلاثة وعشرين عاماً هي زمن الوحي والنبوة، ولم تجئ تعاليم منقطعة عن الحوادث البشرية، ولهذا فهو حل لحوادث الأزمنة التي لابد أن تكون متشابهة مهما تكررت وليست تعاليمه غريبة عن أي زمن منها، إذ هي الأصل في تلك الحلول.

وهذا كان جوهر الدعوة أول ما جاء الإسلام، وقد رآه محمد بن عبد الوهاب جوهرياً في كل مرة نسي فيها الإسلام، ولم يرى غيرها صالحاً للإصلاح وتسديد خطى المسلمين كلما فسد الزمان واعْوجَّ الإنسان.

وفي الحقيقة أن مشكلة منزلة العقل من السمع كانت من المشكلات الهامة في تاريخ الفكر الإسلامي فقد عنى بها المتكلمون والفلاسفة على اختلافهم، وقدموا لها الكثير من الحلول، فالمتكلمون كانوا يريدون البحث في صلة العقل بالشرع وهل يتقدم العقل الشرع أو يتقدم الشرع العقل، وإلى أي حد يمكن أنْ يعول على العقل في مجال التشريع والعقائد، أما الفلاسفة فكانوا يرمون من بحثهم في هذه المشكلة إلى إظهار أنَّ ما يصل إليه الفيلسوف بعقله متفق مع ما جاءت به الشريعة، فلا خلاف إذن بين الفلسفة التي تستخدم منهج العقل ، والشريعة المستندة إلى الوحي.

ومحاولة المتكلمين البحث في علاقة الشرع بالعقل إسلامية النشأة والطابع، فقد حث القرآن العقول على تدبر ما في الكون من آيات، ودعا إلى استخدام العقل صراحة، من أجل الوصول إلى الإيمان، فكان المتكلمون في محاولاتهم تلك في نطاق الشرع تماماً.

أما محاولة الفلاسفة التوفيق بين الدين والعقل، فلا تخلو من تكلف ظاهر، فقد كان الفلاسفة معجبين بأرسطو وبغيره من الفلاسفة أيما إعجاب، فتكلفوا في أن يظهروا الفلسفة اليونانية وكأنها مع الدين، واستخدموا في هذا الصدد ضروباً من

التأويلات للنصوص، في معرض التدليل على آرائهم، ولا يقرهم عليها علماء الشرع من متكلمين وفقهاء، كما اصطنعوا في هذا السبيل نظريات بعيدة عن روح الإسلام في بعض الأحيان.

ويَعُول المعتزلة، من المتكلمين، على العقل ويقدمونه على الشرع، وهم قد أثبتوا للعقل منزلة عظمى، وأوجبوا ما يأتي به من معرفة الله، ومعرفة الخير والشر والحسن والقبح وشكر النعم قبل ورود السمع، وزادوا على ذلك أنَّ من قصر في شئ من تلك المعارف فهو مستحق العقوبة من الله[1]

فيذهب العلاف إلى القول بأنه يجب معرفة الله تعالى بالدليل من غير خطر (أي من غير تبليغ) وإن قصر الإنسان في هذه المعرفة استوجب العقوبة أبداً، والإنسان يعلم أيضاً حسن الحسن وقبح القبيح، وعندئذ يجب عليه الإقدام على الحسن كالصدق والعدل والإعراض عن القبح كالكذب والجور [2] فالحسن عندهم حسن، لا لأن الشرع قد أمر به، وإنما لأن الحسن ذاتي فيه، والقبيح ليس قبيحاً لأن الشرع نهي عنه، وإنما لأن القبح ذاتي فيه.

وذهب الحشوية، وهم فريق من المتمسكين بظاهر النصوص، إلى أنه لا مدخل للعقل في معرفة الله، فوقفوا في الاتجاه المضاد للمعتزلة، وقد صور لنا ابن رشد موقفهم هذا قائلا:

---

[1] الملل والنحل، جـ١، ص٤٥

[2] نفسه، ص٥٢، وقارن الآمدي (سيف الدين): "الإحكام في أصول الأحكام"، ج١،ص ١٣٠، القاهرة، ١٣٣٢ هـ/١٩١٤م.

أعنى أنَّ الإيمان بوجوده، الذي كلف الناس التصديق به، يكفي فيه أنْ يتلقى من صاحب الشرع، ويؤمن به إيماناً، كما يتلقى منه أحوال المعاد، وغير ذلك مما لا دخل فيه للعقل"[1].

وذهب الظاهرية، وهم أصحاب مدرسة فقهية أسسها داود بن على الأصفهانى الظاهري(المتوفى سنة ٢٧٠ هـ) إلى التمسك أيضاً بظواهر النصوص الدينية، ورفض الرأي والقياس وهم بذلك أيضاً كانوا يقفون ضد المعتزلة في اتجاههم العقلي[2]

أما أهل السنة والجماعةُ فقد اتخذوا بصدد مشكلة علاقة العقل بالشرع، أو السمع ، موقفاً خاصاً، مؤداه أن الواجبات الشرعية كلها بالسمع، والمعارف كلها بالعقل، فالعقل، لا يحسن ولا يقبح، و لا يقتضي ولا يوجب[3] وهم بهذا لا يعزلون العقل عن الشرع، كالحشوية ولا يقدمون العقل على الشرع كالمعتزلة، استمع إلى قول أبي الحسن الأشعري:

"الواجبات كلها سمعية ، والعقل لا يوجب شيئاً، ولا يقتضي تحسيناً، و لا تقبيحاً فمعرفة الله عز وجل بالعقل تحصل، وبالسمع تجب، وقال الله تعالى: {**وماكنا معذبين حتى نبعث رسولاً**} [4]وكذلك شكر المنعم، وإثابة المطيع، وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل، ولا يجب على الله تعالى شئ ما بالعقل، ولا الأصلح ولا اللطف.."[5]فلم يجعل الأشاعرة للعقل تلك المنزلة التي رأيناها له عند المعتزلة،

---

(١) ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص٣١، القاهرة ١٣٢٨ هـ.

(٢) راجع الملل والنحل، جـ١،ص٢٠٦

(٣) نفسه، جـ١، ص٤٢

(٤) سورة الإسراء، آية ١٥

(٥) الملل والنحل، جـ١،ص١٠١-١٠٢

فالأشعري مثلاً يرى أن العقل آلة للإدراك فقط، وأنَّ الوحي هو مصدر كل معرفة، كما لا يوجب العقل عنده شيئاً من المعارف، و لا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً، ولا يوجب على الله شيئاً ما من رعاية مصالح العباد واللطف وما إلى ذلك.

مما سبق يتبين أنَّ رأى ابن عبد الوهاب في مشكلة منزلة العقل من السمع، وهل يتقدم العقل الشرع أو يتقدم الشرع العقل، وإلى أي حد يكون دور العقل في مجال التشريع والعقائد نقول أنَّ رأى ابن عبد الوهاب في هذه المشكلة يكاد يقترب من رأى الأشعرية فيها، فكلاهما ذهب إلى القول بأنه لا حكم لأفعال العقلاء قبل ورود الشرع، وإلى أن ثبوت الحكم يكون بالشرع لابالعقل، والفعل غير موجب ولا محرم، فإذا كان الأمر كذلك يكون الفعل المأمور به حسناً لأنَّ الشرع أمر به، ولايكون مأموراً به لأنه حسن، والفعل المنهي عنه يكون قبيحاً لأنه منهي عنه، ولايكون منهياً عنه لانه قبيح، والحاكم هو الشارع، تبارك وتعالى، ولادخل للعقل، وإنما العقل لا يخرج عن كونه آلة لفهم الخطاب الشرعي.

وسائل الدعوة عند ابن عبدالوهاب:

وقد نهض محمد بن عبدالوهاب بعبء الدعوة بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وآثار السلف الصالح ومقاومة البدع والخرافات التي أُلصقت بالإسلام، وبمعنى آخر الرجوع بالإسلام إلى ما كان عليه زمن النبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه (ر).

ولقد بدأ الشيخ دعوته إلى الإصلاح متبعاً في ذلك أسلوب الإسلام نفسه، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

المكرو كتابة الرسائل وإلقاء الخطب، وعقد حلقات الـــدرس لتلامـــــيذه الذيـــن يتلقـــــون

عنه العلم في مختلف فروع المعرفة، وعنيت الدعوة بتصحيح العقيدة وتحقيق التوحيـد، وقد أستأثرت معالجة هذا الموضوع بالكثير من مؤلفات الشيخ وكتاباته ورسائله.

وأقوال صالحي الأمة وأفعالهم، وذلك بإخلاص العبادة لله رب العالمين، ونبـــذ الشرك والبدع والخرافات، وتفسير معنى "لا إله إلا الله" وما اشتملت عليه مـــن نفـــي العبادة عما سوى الله وإثباتها لله وحده لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته، وبيـــان شرائع الإسلام.[1]

وركز الشيخ دعوته ودونّ أركانها في رسائل موجزة مستندة إلى النصوص حتى تكون حجة لا تُغلب، وجاءت هذه الرسائل في الأصول الثلاثة وأدلتها، والقواعـــد الأربع، وشروط الصلاة وكشف الشبهات ورسالة المغربي، وكتاب التوحيد[2]

أما الأصول الثلاثة فمعرفة العبد ربه بآياته ومخلوقاته، والله هو المستحق العبـادة دون شريك له من مخلوقاته التي هي الكائنات، وأدلة المعرفة وأنواع العبادة مثبوتـــة في القرآن، ثم معرفة الدين على مراتبه من الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان، وكل مرتبة مـــن هذه المراتب الثلاث لها أركان، ثم معرفة النبي(صلى الله عليه وسلم) بنســـــبه ونبوتـــه ورسالته التي ختمت بها الرسالات.

---

(1) محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب "العقيدة والآداب الإسلامية" نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(2) أنظر هذه الرسائل في مجموع رسائل المنار المطبوعة بالقاهرة سنة ١٣٤٠هـ ـ ماعدا رسالة المغربي وكتاب التوحيد.

وأما القواعد الأربع، وقد ساق عليها الأدلة من القرآن، ففيها دراسته التاريخيه لدعوة التوحيد،حتى صار الأمر إلى ماصار إليه، وأولها: أنَّ الكفار الذين قاتلهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانوا يعلمون ويقرون بأن الله هو الخالق المبدىء، ولكن ذلك لم يدخلهم في الإسلام حيث جانبوا تقوى الله وإخلاص العبادة له وحده.

وثانيها: أنهم لم يدعوا الشركاء إلا ليقربوهم إلى الله زلفي، فَعُدَّ ذلك منهم شركاً، فلم يُقبل منهم أن يتخذوهم زلفي وشفعاء إليه.

وثالثهما: أن النبي(صلى الله عليه وسلم) ظهر على أناس تفرقت عباداتهم بين الملائكة والأنبياء الصالحين والكواكب والأشجار والأحجار، وقد قاتلهم الرسول جميعاً إذ هم في الضلال سواء.

ورابعهما: أن مثل هذا الشرك قد صار إلى زماننا الأخير، بل صار أغلظ من شرك الأولين، من أنه طمس الإسلام الصحيح، ومن أنه صار شركاً دائماً يلجأ فيه إلى الشركاء في الشدة والرخاء، بينما كان المشركون قبل الإسلام يلجأون إلى شركائهم في السراء، ويخلصون اللجوء إلى الله في الضراء.

وأما شروط الصلاة، فقد أوضح، ابن عبدالوهاب، أنها تسعة.. الإسلام والعقل والتمييز ورفع الحدث وإزالة النجاسة، وستر العورة، ودخول الوقت، واستقبال القبلة والنية.

ورسالة كشف الشبهات فصل فيها ما أثبته في ثلاثة الأصول، ثم استطرد إلى سد أبواب الحيلة لتقديس الموتى ثم ختم الرسالة بتعريف التوحيد وبيان حده مبيناً أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل من هذه شئ لم يكن العابد مسلماً بل يكون كافراً أو يكون منافقاً.

وجمع في "رسالة المغربي" أنواع العبادات الفاسدة كلها، وأرشد إلى وجوب إقامة الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع وأما التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، فقد صنف فيه كتاباً هو أجمع ما كتب، وقد جعله أبواباً بلغت سبعة وستين باباً تختلف طولاً مع إتصافها جميعا بالإيجاز والوضوح، وفي كل باب منها أسانيد من القرآن أو الحديث أو هما معاً على ما يريد أنْ يثبته من التوحيد الصحيح أو العبادة المشوبة بالشرك.

وجاء كتابه في "التوحيد" حافلاً بالكلام عن العبادات والعادات والطقوس الزائفة، والبدع التي عمت الأمصار والبوادى، و لم ينس أن يذكر فيه فساد أداب المجتمعات، ومغالاة الناس في الهذل وإطلاق الألقاب، كما لم ينس أن يحارب التأويل وجحدان أسماء الصفات وبدع الجهمية في التعطيل، أى تعطيل الصفات، ثم أوضح كراهة الحلف والتصوير والسماع، هذا و لم يغفل ابن عبد الوهاب أنْ يكون من أسباب دعوته ووسائلها الإستعداد والرمى وبناء الجيوش والحصون وإقامة العدالة وتأليف القلوب وتأمين السبل ولاسيما طريق الحج، وبإتخاذ الأنظمة التي تكفل قيام الدولة وبقاءها في حدود الشريعة الإسلامية وحمايتها.

وذلك أن محمد بن عبد الوهاب كان أكثر من "شيخ" وأعظم من "فقيه" ومن ثم فإنه لم يشأ أنْ يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها أو مواعظ يلقيها، أو حتى حلقة أو حلقات من الأتباع والمريدين، وإنما أراد لهذه الدعوة أن تكون أكثر وأكبر من مجرد "دعوة" أو "مذهب" يستقر في مجرى التاريخ ومتحف التراث.

لقد أبصر دور "الدولة" و"السلطة" في وضع الدعوات موضع الممارسة والتطبيق، ووعى جيداً الحكمة التي تقول:

إن الله يزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن، ومن هنا كانت مغادرته لبلده التي بدأ دعوته بها، إلى "العينية" حيث عرض دعوته على رئيسها (عثمان بن أحمد بن معمر)، الذى اقتنع بها، فدعاه ابن عبد الوهاب إلى أنْ يسخر سلطته وسلطانه لنشر دعوة التوحيد، وتجديد عقائد الإسلام، ومنّاه بأنه إنْ فعل ذلك، ونصر (لا إله إلا الله)، فإن الله سبحانه وتعالى "سيملكه نجداً وأعرابها"[1]

فسار أمير العينية بجيشه وفي مقدمته ابن عبدالوهاب إلى الأماكن التي اتخذ الناس فيها القبور أو الرموز أو الأشجار للتوسل والتعظيم، فهدموها وقطعوها، حتى كان اليوم الذى أمسك فيه ابن عبد الوهاب بالفأس وقاد الجيش في هدم قبة (زيد بن الخطاب) (١٢هـ/ ٦٣٣م) في بلده (الجبيلة)، وكانت مزاراً يعظمه الناس ويتبركون بزيارته، وكادت أن تحدث حرب بسبب ذلك مع أهل (الجبيلة) وأعرابها، وهددوا بالتمرد على سلطان حاكم "العينية" إن هو ناصر دعوة ابن عبد الوهاب ، فإن الحاكم بين ما بيده من السلطة، وبين ما وعده ابن عبدالوهاب منها في المستقبل ومن الثواب عند الله، فاختار الأول، وتخلى عن نصرة التجديد والتوحيد، أو بالأحرى تخلى عن الأسلوب العنيف لابن عبدالوهاب في نصرة الدعوة، وطلب إليه أن يغادر "العينية" فراراً بنفسه قبل أنْ يفتك به الغاضبون لهدم قبة زيد بن الخطاب.

حدث ذلك سنة (١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م)، فغادر ابن عبد الوهاب "العينية" إلى "الدرعية" حيث لقى أميرها محمد بن سعود (١١٧٩هـ/١٧٦٥م) الذى إستجاب لدعوته ورحب به وتعاقدا على تأسيس ملك جديد ودولة جديدة على فكر توحيدى نقى وجديد.

---

[1] الدعوة الوهابية، ص٦٤

وبفكر ابن عبد الوهاب، وبتنظيمه أيضاً، وبجيش ابن سعود وسلطانه ، تجاوزت الدعوة حدود "الدرعية" واستجابت كل نجد والجهات المتاخمة لها لدعوة التجديد الديني، ودانت بعقيدة التوحيد على هذا النحو النقي الذى بشر به ودعا إليه ابن عبد الوهاب.

وخلال هذه العملية النضالية كان الشيخ محور النشاط، فهو الذى يجهز الجيوش، ويبعث البعوث والسرايا، ويكاتب أهل البلاد الأخرى داعياً و واعظاً ومنذراً،ويستقبل الوفود والضيوف، بل ويشرف كذلك على بيت المال وينظم مصارف المغانم والزكاة[1]

وبهذه الإمارة الوهابية السعودية، التي اتخذت من "الدرعية" عاصمة لها، أقامت للتجديد الديني دولة في شبه الجزيرة العربية، جاورت مقدسات الإسلام والمسلمين في مكة والمدينة، وشرع ابن عبد الوهاب في أن يتصل بعلماء المسلمين ووجوههم في مواسم الحج، ويعرض عليهم أفكاره في التوحيد، ويجرى معهم الحوار.

أثر دعوة ابن عبد الوهاب السلفية في حركات الإصلاح الديني:

وقد أثرت دعوة نجد الجديدة أو الإصلاح النجدى التي قادها ابن عبدالوهاب تأثيراً بالغاً في نجد والجزيرة العربية، فعرف الناس ماصفا من الفكر، وما استقام من المناسك والعبادات مما أرشدهم إليه الدعوة، أو نهتهم عنه في العظات والدروس التي ألقاها ابن عبد الوهاب، وفي الرسائل التي تركها، وفي الشروح التي صنفها أولاده وأحفاده.

---

[1] الدعوة الوهابية، ص ٦٥-٦٧، ٨١.

وفي عهد السعودية الأولى من أيام محمد بن سعود إلى عبد الله بن سعود بن عبد العزيز، كانت نظم الشريعة الغراء أسساً قام عليها البناء، وأرسى الحكم في كل مرفق من مرافق الحياة.

وفرض هذا النظام مقاماً كريماً لعلماء الدين، ومن غير غلو وصار لمن يتولى القضاء أو الإفتاء منهم مكان مرموق، أما آل بن عبد الوهاب جميعاً فقد صار إجلالهم في النفوس إجلال الهداة المرشدين وإقتران إسم آل ابن عبد الوهاب، وآل سعود بعقيدة التوحيد، وأعمال التطهير، فأطلق عليهم اسم الموحدين ، واسم المطهرين، ولقبوا بأهل السنة، وأهل الحديث، وكان جديراً بأن يطلق عليهم أيضاً أهل القرآن.

ولم يقتصر أثر الدعوة السلفية في الجزيرة العربية فحسب، بل امتد هذا الأثر إلى بقاع كثيرة من العالم الإسلامي، وذلك على الرغم من محاولات خصوم الدعوة من تشويه مبادئها، حتى أطلقوا عليها إسم "المذهب الوهابي" ليدللوا على أنها مذهب جديد على الإسلام، ولقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على نجاح الدعوة وانتشارها، فقد كان لشدة إيمان صاحب الدعوة بما يدعو إلية من الحق، وقوته في مواجهة خصوم الدعوة، حتى جمع حولها الأتباع والأعوان والتلاميذ الذين كانوا عدتها ودعامتها، فضلاً عن القوة السياسية ممثلة في أنصار الدعوة من آل سعود منذ إتفاق الدرعية (١١٤٧ هـ)، أكبر الأثر في التمكين للدعوة، وإبلاغ صوتها إلى أقصى المشرق وأقصى المغرب.

ومن هنا ، تتجلى قوة الدعوة في الجمع بين الأمور السياسية والدينية، فقد حمل آل سعود لواء الجهاد في سبيل نصرة الدعوة في حياة الشيخ ابن عبد الوهاب وبعد وفاته، وتوحدت على أيديهم معظم أقاليم الجزيرة العربية، بما فيها إقليم الحجاز حيث المعبر الذى انتقلت الدعوة عن طريقه في موسم الحج.

فقد أتاح دخول الحجاز في حوزة الدولة السعودية الأولى في العقدين الثاني والثالث من القرن الثالث عشر للهجرة (١٢١٧- ١٢٢٦هـ)، لحجاج بيت الله الحرام من جميع البلاد الإسلامية التعرف على حقيقة الدعوة السلفية، والإلتقاء بدعاتهم ومناقشتهم فيما يدعون إليه، حتى ازدادوا بها إيمانا وتشبعوا بمبادئها، وبخاصة فيما شاهدوا أحوال الحجاز في عهد أنصار الدعوة من آل سعود، وما كان يسوده من أمن واستقرار وتطبيق لجميع مبادئ الإسلام، فحملوها إلى بلادهم، ودعوا الناس إليها.

فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية إلى سومطرة والهند في قارة آسيا، وإلى ليبيا وبلاد السودان الغربي في قارة إفريقيا، وكان هدف دعاتها في كل مكان يحلون به، هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات، وتصحيح العقيدة الدينية، والعودة بالإسلام إلى ما كان عليه زمن النبي (صلى الله علية وسلم) ثم محاولة إقامة حكومة صالحة على أساس ديني، تحكم بالإسلام عقيدة ومنهج حياة[1]

ففي جبهات الشرق قامت دعوة شريعة الله وسيد أحمد في بنجاب الهند ضد المغول والسيخ والبريطانيين، وكان هذا الزعيم الأخير قد أتى موسم الحج في سنة ١٨٢٢م، وسمع صوت الدعوة فاستجاب له، وعاد إلى بلاده حرباً على البدع والخرافات والتقليد، وأنشأ في البنجاب شبه دولة وهابية لم تنقرض حتى تعرض لها الإنجليز فأخضعوها بعد جهد جهيد ثم استمرت الدعوة في الذين سموا أنفسهم أهل

---

[1] عبد الله يوسف الشبل: تاريخ نجد والدولة السعودية، طبع بمطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -الرياض، ص٦٩-٨٣.

الحديث والذين سماهم أعداؤهم هناك بالوهابيين لتشابه الدعوتين[1]، كما امتد نفوذ الحركة الوهابية إلى قلب سومطرة[2].

وفي باكستان قامت حركة "إقبال" (١٢٨٩ هـ - ١٨٧٣م/١٣٥٤هـ - ١٩٣٨م) التي دعا فيها إلى الإصلاح والتحديد والسير في ركاب العلم من غير خروج عن إطار الدين، بل الدين يحوى في داخله كل ما يحث على العلم، ويحض على تحصيله والتوسع فيه، و لم تتعرض دعوة محمد بن عبدالوهاب إلاّ للبدع والأوهام التي شغلت الناس عن العلم وأبعدتهم عن الحقائق.

(ومحمد اقبال) وإن كان في تفاصيل دعوته لم يكن كالوهابيين فإنه لم يخرج عما أراده ابن عبدالوهاب من النور الذى يبدد الظلمات.

ثم كانت في الشرق كله دعوة جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨-١٨٩٧م) وهي إن لم تكن وليدة الوهابية ، فإن الوهابية مهدت لها وشجعت النفوس، وكذلك كانت الأفغانية في تفاصيلها غير الوهابية، ولكنها في طبيعتها لم تخرج عنه، بل رجعت مثلها إلى عوالى الدين، وانحصرت في إطار الفكر السامى للإسلام.

ومن بعد جمال الدين قام تلميذه محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م) ومن حوله تعاليم ابن عبد الوهاب تملأ الجو فنبههم إلى الرجوع إلى بداية الإسلام، ثم أداه اجتهاده إلى أنْ يسير في طريق ابن عبدالوهاب- فيحارب البدع وفساد العقيدة ثم يفتح باب الإجتهاد ويحل الفكر من التقليد والجمود في دائرة المعارف السلفية، وعمل على إصلاح الأساليب الغربية في التحرير، ثم كان من دعاة التأليف بين الحاكم والمحكوم فللحاكم الطاعة وللمحكومين العدالة، ولايسود المجتمع إلاّ بهما.

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، جـ٢، ص١٤٣، كتاب الشعب، القاهرة.

[2] جب: الإتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة المكتب التجارى، بيروت، ١٩٦١م،ص٥٤.

obeikandi.com

وفي اليمن ظهر أعلم أئمته الإمام الشوكاني (١١٧٢هـ-١٢٥٠هـ)، فكانت حياته في إثر الدعوة الوهابية واشتعالها فسار على نهج التوحيد الخالص، وإنْ لم يتلقه عن ابن عبدالوهاب.وأما في إفريقية الغربية[1] فقد قامت حركات للإصلاح تأثرت بالفكر الوهابي، وبما تأثر به المذهب من مدرسة ابن تيمية وابن القيم، وكان منها حركة الإصلاح التي قام بها عثمان بن محمد بن فودى، حيث أسس نهضة دينية في القرن الثالث عشر الهجرى، وهو القرن الذى اشتدت فيه حركة التوحيد، وبلغت أثار الوهابية إلى نيجيريا، ولنا وقفه نتناول فيها أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حركة عثمان بن فودى الإصلاحية تلك.

ينتسب هذا المصلح (عثمان بن فودى أو دان فوديو)[2]، إلى أسرة من الفلان انطلقت في ركاب المهاجرين منهم حتى دخلت سهول السودان الغربي وأقامت في بلاد الحوصة، وفي هذه البيئة ولد الشيخ عثمان بن فودى سنة ١١٦٩ هـ، ونشأ في بيت علم وفتوى، إذ اعتنق أجداده الإسلام من زمن بعيد.

وفي سنة ١٢١٥ هـ بدأ عثمان بن فودى الدعوة إلى الإصلاح، وكما بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته: دعوة إلى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبدو من منهجه في الإصلاح، العودة بالإسلام إلى ماكان عليه زمن الرسول(صلى الله علية وسلم) وصحابته (ر)

---

[1] المقصود ببلاد غرب إفريقية هنا: البلاد التي كانت تُعرف قديما باسم السودان الغربي والسودان الأوسط، وتشمل مساحة جغرافية تمتد من مصب نهر السنغال في الغرب إلى الحدود الغربية لبلاد دارفور في = =سودان وادای النيل في الشرق، وتقع بين الصحراء الكبرى في الشمال، وبين نطاق الغابات الإستوائية في الجنوب.

[2] عرف باسم دان فوديو، أى: ابن الفقية، واسمه عثمان بن محمد بن عثمان بن صاخ، ومن الألقاب التي تلقب بها نور الزمان، ومجدد الإسلام والشيخ بنيجيريا ، وراجع آدم عبد الله الأبورى: الإسلام في نيجيريا، ص٣٥

فأخذ يدعو إلى إحياء الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة وإجماع السلف الصالح.

ولم تكن حركة الجهاد التي تزعمها الشيخ عثمان بن فودى موجهة ضد الكفار فحسب، ولكن ضد المرتدين والمستهترين من المسلمين الذين يخلطون

الإسلام بأعمال الكفر[1]

وأوضح الشيخ عثمان بن فودى منهجه في الجهاد، في وثيقة أذاعها على جماعة المسلمين في بلاد السودان، وقد شرح فيها طاعة الجماعة لأمير المؤمنين ونوابه، وقواعد وجوب الهجرة على المسلمين والتفريق بين دار الإسلام ودار الحرب والتعريف بالكفار ومن يجب على المسلمين قتالهم[2].

وتكاد تجمع بعض المصادر على أن الشيخ عثمان بن فودى قد حج إلى بيت الله الحرام، والتقى ببعض رجال الدعوة السلفية حين خضوع الحجاز للدولة السعودية الأولى خلال الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجرى، وتشربه مبادئ الدعوة السلفية، ولو أنّ البعض ينكر ذهاب الشيخ عثمان بن فودى إلى مكة أصلا، على حين يعترف أولئك المنكرون بأن أستاذ الشيخ عثمان، وهو الشيخ جبريل بن عمر، أدى فريضة الحج مرتين، والتقى ببعض رجال الدعوة السلفية وتأثر بمبادئها.

---

(1) راجع: محمد بلو بن عثمان بن فودى: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، طبع دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ص٥٨-٩٤.

(2) Bivar,A.D.D.H . The wathighat Ahl AL Sudan. A Monifesto of the Fulani Jihad. Journal of African History. Vol. 11,no2 1961. pp. 233-236.

وسواء صح خبر أداء الشيخ عثمان بن فودى فريضة الحج أم لم يصح، فالواضح أنه تلقى الدعوة السلفية سواء بالمباشرة من منبعها الأصلى علـــى أيـــدى دعاتهـــا في الحجاز، أم بالواسطة على يد أستاذه (جبريل بن عمر)، ومما يقوى هذا الدليل، التشـابه الواضح بين ملامح الدعوة السلفية وحركة بن فودى الإصلاحية التي لم تشبها شـوائب صوفية، فكلا الدعوتين يلتقيان في:

أولاً :" تحقيق التوحيد، وتطهير العقيدة مما شابها من أدران الشـــرك كالاعتقـــاد في قدسية بعض الأرواح أو الأشجار أو الكهوف أو الآبار وتقديم القرابين إلى الجن لإبعاد أذاه، وزيارة قبور الأولياء الصالحين بقصد نيل شفاعتهم".

ثانياً : الدعوة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ومحاربة البدع[1].

ثالثا : إتخاذ الجهاد في سبيل الله وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيـــين الذيـــن يصدون عن سبيل الله، والمرتدين عن الإسلام، ومن حاد إسلامهم عن الطريق الصحيح، ويخلطون أعمال الإسلام بأعمال الكفر، ويوالون الكفار دون جماعة المسلمين [2]

رابعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الإسلام ورد الحث عليـه في الكتاب والسنه، وكما قامت الدعوة السلفية بتحقيق هذا الهدف الإســـلامى بتطبيق أحكام الإسلام، وإقامة حدوده، وتعيين قضاة للفصل في الخصومـــات بين الناس، وتنظيم بيت مال المسلمين، نرى أنّ الدولة الإسلامية التي أقامـــها الشيخ عثمان بن فودى في غرب إفريقيا تضع-أيضاً -النظام الإسلامى للإدارة

---

[1] راجع محمد بلو: انفاق الميسور، ص ٥٨-٦٠ ، آدم عبدالله الأبورى: الإسلام في نيجيريا، ص٣٥-٣٦.

[2] انظر وثيقة أهل السودان ، ص ١٥، محمد بلو، انفاق الميسور: ص١٦٤-١٦٥.

بإحياء نظام البيعة، وتعيين العمل لحكم الأقاليم، وإحياء نظام الوزارة والقضاء الإسلامي.

خامسا: كما كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سبباً في إيقاظ الحياة الفكرية بعد جمودها فترة طويلة من الزمن، وإثارة الجدل بين أنصار الدعوة وخصومها، واجتهادهم في البحث والتحصيل العلمي، مما أدى إلى قيام يقظة إسلامية، ونشاط علمي ظهرت آثاره فيما خلف ابن عبدالوهاب من تراث إسلامي يتمثل في رسائله وبحوثه ومؤلفاته، وذلك فضلاً عما قام به أبناؤه وتلاميذه من إنتاج علمي لا يزال يثرى المكتبة العربية الإسلامية بالعديد من المؤلفات، وكذلك أشعلت حركة الإصلاح التي قادها الشيخ عثمان بن فودى في غرب إفريقيا يقظة فكرية هائلة، تجلب آثارها فيما خلفته من تراث عربي إسلامي في شكل كتب أو رسائل، وجميعها مكتوبة باللغة العربية، وقد أدى التراث دوراً هاماً في دعم الحركة الإسلامية، واتساع رقعة الإسلام في هذا الجزء من إفريقيا خلال القرن الثالث عشر وصدر القرن الرابع عشر للهجرة.

مما سبق يتبين لنا أنَّ الدعوة السلفية التي قادها محمد بن عبدالوهاب، قد تركت آثاراً مباشرة، وغير مباشرة على الحركات الإصلاحية التي ظهرت بعدها، فسهي قد مهدت لها، وقوت من عزائم القائمين بها، إذ كانت بحق دعوة رائدة، وجد فيها أصحاب العزائم من المصلحين قدوة طيبة يقتدون بها، وأثراً صالحاً ينهجون نهجه في جميع مراحل حركاتهم الإصلاحية.

تعقيب

أولاً : كانت أهم مسألة شغلت ذهن ابن عبدالوهاب هي مسألة التوحيد، التي هي عماد الإسلام، والتي تعبر عنها أصدق تعبير كلمة "لا إله إلا الله" والتي تميز بها الإسلام عما عداه من الأديان، والتي جاء بها، وجاهد في سبيلها محمد (صلى الله عليه وسلم).

فالتوحيد أساسه الإعتقاد أن الله وحده هو الخالق، وليس في الخلق من يشاركه في خلقه ولا في حكمه، ولامن يعينه على تصريف أموره، لأنه تعالى ليس في حاجة إلى عون أحد من خلقه، فهو الذى بيده الحكم وحده، وهو الذى بيده النفع والضر وحده، ولاشريك له في ملكه ولاحكمه.

والأصل في الدين، أنّ كل ماجاء به نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه، يسميه الله تعالى في القرآن إسلاماً، ويسمى جميع الأنبياء بالمسلمين، فالدين واحد، يقول ربنا تعالى **{قل أمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون- ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخره من الخاسرين}**[1]

ويقول القرآن عن سيدنا إبراهيم **{إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين}**[2] **{وما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين}**[3]، ويقول أبناء يعقوب لأبيهم حينما يسألهم، ماذا تعبدون من بعدى:

{قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون}[4]

ويقول إبراهيم، وهو يرفع قواعد البيت مع إبنه إسماعيل:

---

(1) آل عمران٨٤ ، ٨٥ وقارن الشورى

(2) البقرة آية ١٣١

(3) آل عمران آية ٦٧

(4) البقرة آية ١٣٣.

{ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا وإجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم}[1]

ويقول فرعون لحظة موته غريقاً: {قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين"[2]

وسحرة فرعون وهم يُصلبون على جذوع الأشجار: {وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين}[3]

وبلقيس حينما اعتنقت دين سليمان تقول:

{ رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين}[4]

إنه دين واحد إذن، نزل على جميع الرسل بكلمة التوحيد (لا إلـــه إلا الله) لا شريك ولا ابن ولاضد ولاند ولامثل، حتى الجن يقولون:

{وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً}[5]

فما عدا المسلمين في مفهومهم، لايكون إلا القاسطين، والقاسطون هم الظـللون لأنفسهم ولربهم، لأنهم انحرفوا عن الوحدانية، فخرجوا عن الدين بالكلية إذاً،فما بـــال العالم الإسلامى اليوم يعدل عن هذا التوحيد الخالص ويشرك مع الله كثيراً من خلقـــه، فهؤلاء الأولياء، يحُج إليهم، وتُقدم لهم النذور، ويُعتقد أنهم قادرون على النفع والضر ،

---

(1) البقرة : الآية ١٢٧-١٢٨

(2) يونس : الآية ٩٠

(3) الأعراف : الآية ١٢٦

(4) النمل : الآية ٤٤

(5) الجن : الآية ١٤

obeikandl.com

وهذه الأضرحة المقامة في شتىديار الإسلام ، يشد إليها الرحال، ويتمسحون بهـــا ، ويتذللون لها، ويرجون منها جلب الخير ودفع الشر، في كل بلدة ضريح أو أضرحـــة، تشرك مع الله في تصريف الأمور، كأن الله -تبارك وتعالى- سلطان من سلاطين الدنيـا الغاشمين، يتقرب إليه بذوى الجاه عنده، وأهل الزلفي لديه أليس هـــذا كمـــا يقـــول مشركوا العرب {**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي**}[1] وقولهم {**هؤلاء شـفعاؤنا عند الله**}[2]

و لم يكتف بعض المسلمين بذلك، بل أشركوا مع الله حتى النبـــات والجمـــاد، فهؤلاء أهل بلدة باليمامة يعتقدون في نخله هنالك، وهذا الغار في "الدرعية" يحج النـاس إليه للتبرك، وفي كل بلدة من بلاد الإسلام مثل هذا ، فكيف يخلص التوحيد مع كـــل هذه العقائد.

ثانياً : وأساس آخر يتصل بهذا التوحيد الذى كان يفكـــر فيـــه محمـــد بـــن عبدالوهاب، وهو أن الله وحده هو مشرِّع العقائد، وهو وحده الذى يحلل أو يحـــرم، فليس كلام أحد حجة في الدين إلا كلام الله وسيد المرسلين، فالله تعالى يقول { **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله**}[3] إذاً، فكلام المتكلمين في العقـــائد، وكلام الفقهاء في التحليل والتحريم ليس حجة علينا، الحجة فقط الكتـــاب والســـنة، وكل مستوف حق الإجتهاد له الحق أن يجتهد، بل يجـــب عليـــه أن يفعـــل ذلـــك، ويستخرج من الأحكام على حسب فهمه لنصوص الكتاب، وما صح من السنة-مـــا يؤديه إليه إجتهاده.

---

[1] الزمر : الآية ٣

[2] يونس : الآية ١٨

[3] سورة الشورى :الآية ٢١

obeikandl.com

وضعف المسلمين، وسقوط همتهم ونفسيتهم، ليس له من سبب، في رأى ابن عبدالوهاب، إلا العقيدة ، فقد كانت العقيدة في أول أمرها صافية نقية من أى شرك، وكانت: **"لا إله إلا الله"** معناها السمو بالنفس عن الأحجار والأوثان وعبادة العظماء وعدم الخوف من الموت في سبيل الحق، وعدم الخوف من استنكار المنكر والأمر بالمعروف مهما تبع ذلك من عذاب، ولا قيمة للحياة إلا إذا بُذلت في رفع لواء الحق ودفع الظلم، وهذا هو الفرق الوحيد بين العرب في الجاهلية والإسلام، وبهذه العقيدة وحدها، غزوا وملكوا ، وفتحوا.

ثالثا : أنَّ ابن تيمية (٦٦١ هـ- ٧٢٨هـ) يُعتبر إمام ابن عبدالوهاب ومرشده وباعث تفكيره، والموحى إليه بالإجتهاد والاصلاح والدعوة، فقد دعا مثله إلى رد البدع، والتوجه بالعبادة إلى الله وحده، لا إلى المشايخ والأولياء والأضرحة، لا بوسلطة توسل ولا شفاعة، وزيارة القبور إن كانت فللعظة والإعتبار، لا للتوسل والإستشفاع فهم لا يملكون شيئاً بجانب الله وقوانينه الثابتة التي لا تتخلف ، والتي نظم بها كونه .

والوهابيون لم يزيدوا في العقائد شيئاً عما جاء به ابن تيميه، ولكنهم تشددوا فيها أكثر مما تشدد هو ، ورتبوا أموراً عملية لم يكن قد تعرض لها، لأنها لم تشتهر في زمانه وعيده، فحرموا الدخان، وشددّوا في التحريم، حتى إن العامة منهم يعتبرون المدَّخن كالمشرك، وكانوا يُحرمون على أنفسهم القهوة وما يماثلها وقد تساهلوا فيها بعد ذلك، وتشددوا في أمور ليس فيها وثنية ولا ما يؤدى إلى الوثنية، وأعلنوا استنكارها ، كالتصوير الفوتوغرافي، كما توسعوا في معنى البدعة، حتى زعموا أنَّ

وضع ستائر على الروضة الشريفة أمر بدعي، ولذلك منعوا تجديد الستائر التي كانت عليها حتى صارت أسمالاً بالية[1]

رابعاً : مما يُحسب للشيخ محمد بن عبدالوهاب أنه لم يشأ أنْ يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها ، أو مواعظ يلقيها، أو حتى حلقة، أو حلقات من الأتباع والمريدين، وإنما أراد لهذه الدعوة أنْ تكون أكثر وأكبر من مجرد "دعوة" أو "مذهب".

لقد أبصر، كما قلنا، دور "الدولة"و"السلطة" في وضع الدعوات موضع الممارسة والتطبيق واستطاع بفكرة وبتنظيمه، وبجيش ابن سعود وسلطانه، أن يقيم للتجديد الديني دولة في شبه الجزيرة العربية.

خامساً : إن "سلفية" الوهابية، لاعتمادها على النقل دون العقل، ولتعميمها ذلك في شئون الدنيا أيضاً، جعلت من التجديد دعوة للعودة إلى "مجتمع" السلف، ونظمه وتشريعاته، فضلاً عن فكره، فهي عودة إلى السلف وقفت عند المأثورات وحدها ، وعند فهم السلف وحدهم لهذه المأثورات فقد جعلت "الوهابية" من المأثورات "الكل" الذى لا شئ وراءه، ونقطة البدء والمنتهي، سواء في عقائد الدين أو في أمور الدنيا.

وبمعنى آخر، إنَّ السلفية عند الوهابية، كانت - كما كانت عند تراثها في فكر ابن حنبل وابن تيمية- الوقوف عند ظواهر النصوص الدينية، وجعل المعانى المستفادة من هذه الظواهر المرجع في كل من أمور الدين والدنيا.

فهي قد وقفت عند مفهوم الإسلام، كدين، كما كان حال هذا المفهوم في عصر البداوة والبساطة للأمة العربية، وقبل التطورات العلمية، والإضافات العقلية التي استدعتها صراعات الأمة الفكرية مع الملل والنحل غير الإسلامية بعد عصر الفتوحات.

---

[1] تاريخ المذاهب الإسلامية، جـ١، ص٢٥٢

ومن ثم، فإن السلفية، بهذا المعنى تسقط من تراثها العلوم والتصوف، وتعتبر كل ذلك "بدعاً" طرأت على الإسلام كما فهمه السلف الصالح.

سادساً : ولهذا نرى أنَّ ابن عبدالوهاب، قد جانبه الصواب حين رفض كل تراث المتكلمين والصوفية فنحن واجدون عند البعض منهم آراءاً تتفق تماماً مع ما ذهب إليه ابن عبدالوهاب، في ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية.

١- يؤكد هذا، في رأينا، ماذهب إليه المعتزلة في التوحيد، فهم لم يجردوا الذات الإلهية عن صفاتها تماماً، بل- كما سبق- أثبتوا أن الصفات عين الذات، فلا وجود لصفات زائدة عليها، وبالتالي فإنَّ وصف خصومهم لهم بأنهم معطلة- بمعنى أنهم يجردون الذات عن صفاتها- بعيد عن الصواب إلى حد كبير.

والذى دعاهم إلى هذا الرأى هو الدفاع عن العقائد الإسلامية بدحض مذاهب المشبهة والمجسمة، التي إبتعدت عن روح الإسلام، فضلوا وأضلوا، وظهروا (أى المشبهة والمجسمة) على مسرح الحياة العقلية الإسلامية، وكأنهم من ذوى العقول البدائية التي لا تستطيع الترقى من المحسوس إلى المعقول، والتي لا تقوى على إدراك معنىالتنزية الذى أشار إليه القرآن في قوله تعالى {**ليس كمثله شئ**}[1]وفي قوله تعالى {**سبحان ربك رب العزة عما يصفون**}[2]

٢- وفي هذا الإطار، نذكر أيضاً رأى الأشاعرة في مشكلة منزلة العقل من السمع، والذى ذهبوا فيه إلى أنَّ الواجبات الشرعية كلها بالسمع، والمعارف كلها بالعقل، والوحى عندهم، هو مصدر كل المعرفة، ولادخل للعقل، وإنما العقل لا يخرج عن كونه

---

[1] سورة الشورى: آية ١١.

[2] سورة الصافات: آية ١٨٠

obeikandi.com

آلة لفهم الخطاب الشرعي، فلا يوجب العقل عندهم شيئاً من المعارف، ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً، ولا يوجب على الله شيئاً، من رعاية مصالح العباد واللطف ومـا إلى ذلك.

٣- إضافة إلى هذا، نذكر بعضاً من آراء صوفية المسلمين، في التوحيـد، وضـرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة، وسنرى أنها متفقة تماماً مع القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية.

أ- فهذا معروف الكرخي (المتوفي سنة ٢٠٠ هـ) والذي ذكره ابـن عبدالوهـاب بالإسم منكراً عليه في كتاباته، يكره الجدل النظري في مسائل الدين، فيقدم العلم علـى ذلك، يدلنا على ذلك ما أورده السلمي عنه قائلاً:

" إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل"[١]

ويرى الكرخي ضرورة ارتباط العلم بالعمل، فيقول:

"إذا عمل العالم بالعلم استوت له قلوب المؤمنين، وكرهه كـل مـن في قلبـه مرض"[٢]

ب ـ وهذا أبو سليمان الدراني (المتوفي سنة ٢١٥ هـ) يرى ضرورة أنْ ترتبط الحقيقة بالشريعة، يدلنا على ذلك قوله:

---

[١] السلمي (أبو عبدالرحمن): "طبقات الصوفية" تحقيق الأستاذ شريبة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م، ص٨٧.

[٢] الشعراني (عبد الوهاب): " الطبقات الكبرى" ، القاهرة، ١٣٤٣هـ، جـ١، ص٦٢.

"ربما يقع في قلبي النكتة (المسألة) من نكت القوم (يعني الصوفية) أياماً فلا أقبل منه (أي من قلبه) إلاّ بشاهدين عَدْلين : الكتاب والسنة"[1]

جـ ـ والجنيد (المتوفي سنة ٢٩٧ هـ) ، أعمق صوفية المسلمين في القرن الثالث الهجرى، يقول: "مَنْ لم يحفظ القرآن، و لم يكتب الحديث، لا يُقتدى به في هذا الأمر (يقصد التصوف) لأنَّ علمنا هذا مقيدٌ بالكتاب والسنة"[2]

وهو يقول أيضاً " الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول (صلى الله عليه وسلم) واتبع سنته، ولزم طريقته، فإنَّ طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه"[3]

وعندما سُئل عن التوحيد، قال:

"إفراد الموحَّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته، بأنه الواحد الذى لم يلد، و لم يولد بنفي الأضداد والأنداد، والأشباه، وما عبد من دونه، بلا تشبيه وتكييف ولا تصوير ولا تمثيل { **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**}[4]

أليس هذا هو نفسه مادعا إليه ابن عبدالوهاب، وإستمع إلى الجنيد يقول أيضاً:

---

[1] القشيرى (عبدالكريم) : " الرسالة القشيرية "، نشر الدكتور منير محمد حسن، باكستان ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص١٥.

[2] الرسالة القشيرية، ص١٩.

[3] طبقات السلمى، ص١٥٩.

[4] سورة الشورى: آية ١١، وأنظر الرسالة القشيرية، ص ١٣٥.

obeikandi.com

"التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث، والخروج عن الأوطان، وقطع المحاب (أى مايحبه الإنسان)، وترك ما عُلم وجُهل، وأنْ يكون الحق سبحانه مكان الجميع"[1]

أى يجب ألا يشغلنا شئ، مهما كان إقترابه منا،ونفعه لنا، عن الحق تبارك وتعالى، فليس في الوجود من يستحق العبادة والتعظيم إلا هو؟ ويُفَرِّق الجنيد هنا بين صفات الألوهية، وأخصها القدم، وصفات البشرية، وأخصها الحدوث، وفي هذا تمام الإعتقاد بأن الله تعالى وحده هو "المعبود" الحق.

د- والقشيرى (المتوفي سنة ٤٦٥ هـ)، من أهم شخصيات التصوف الإسلامى في القرن الخامس الهجرى يقول:

" كل تصوف لايقارنه التنظف والتعفف فهو مخرقة وتكلف، وكل توحيد لا يصححه الكتاب والسنة فهو تلحيد لا توحيد، وكل معرفة لا يقارنها ورع وإستقامة فهي مخرقة لا معرفة"[2] فإصلاح التصوف، في رأيه، لايكون إلا بإرجاعه إلى عقيدة أهل السنة والجماعة.

هـ- والإمام أبو حامد الغزالى (المتوفي سنة ٥٠٥هـ)، ذلك الفليسوف والمتصوف المسلم الذى أبدى كثيرٌ من الدارسين في الغرب إعجابهم به، فيصفه ماكدونالد(Macdonald) في المقال الذى كتبه عنه في دائرة المعارف الإسلامية بأنه:

"أكثر المفكرين الذين أنجبهم الإسلام أصالة، وأكبر علماء العقائد فيه"[3]

---

[1] الرسالة القيشرية ، ص١٣٦.

[2] نفسه، ص٦١-٦٢

[3]

أقام الغزالى التصوف على أساس عقيدة أهل السنة والجماعة، وأبعد عن ميدانه كل أثر للنزعات الفنوصية على إختلافها، والتي تأثر بها فلاسفة الإسلام، والإسماعلية من الشيعة، وإخوان الصفا وغيرهم، وأبعد عن ميدانه كذلك إلهيات أرسطو، وماعلق بها من نظرية الفيض والإتصال، و اعتنى بالنفس الإنسانية وآفاقها وكيفية الترقى بها أخلاقياً، ويذهب إلى أنَّ حركات وسكنات الصوفية في ظاهرهم وباطنهم، ينبغى أنْ تقتبس من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به[1]

ويظهرنا الغزالى [2] على أنَّ العارف لا يرى إلا الله تعالى، ولا يعرف غيره، ويعلم أنَّه ليس في الوجود إلا هو وأفعاله، ومَنْ هذه حاله لاينظر في شئ من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل، ويذهل عن الفعل من حيث أنَّه سماء وأرض وحيوان، وشجر بل ينظر إلى ذلك كله من حيث أنَّه صنع الواحد الحق ، فكل العالم إذن تصنيف الله تعالى فمن نظر اليه من حيث أنه فعل الله، وعرفه من حيث أنه فعل الله، وأحبه من حيث أنه فعل الله، لم يكن ناظراً إلاّ في الله، ولا عارفاً إلا بالله، ولا مُحباً إلا لله[3]

ومَنْ هذا حاله هو الموحد الحق الذى لا يرى إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه، بل من حيث أنَّه عبد الله"[4].

---

[1] الغزالى: المنقذ من الضلال، بهامش الإنسان الكامل، القاهرة، ١٣١٦ هـ، ص٣٥.

[2] إحياء علوم الدين، جـ٤، ص٢٧٦، القاهرة، ١٣٣٤ هـ.

[3] راجع: الدكتور أبو الوفاء التفتازانى: مدخل إلى التصوف الإسلامى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٧٩، ص١٧٦.

[4] "إحياء علوم الدين"، جـ٤، ص ٢٧٦، وقارن أيضاً، جـ٤، ص ٢٥٦.

وقد وقف الغزالى أيضاً في وجه المذاهب الفكرية المنحرفة بقوة، ونقدها نقـــداً علمياً دقيقاً، وكان من الممكن لهذه المذاهب أن تقوض دعائم المجتمعات الإســلامية في عصره وبعده لو تُركت وشأنها، أليس في هذا كله، مما يُثير الإعجاب بالغزالى، وغـــيره من الرموز الصوفية والكلامية التي ذكرنا، وبالتالى فإن هجوم ابن عبد الوهاب عليـــها، وبيان فساد أحوالها وأقوالها، بحاجة إلى مراجعة.

سابعاً: ومهما يكن قول المؤرخين والفقهاء في حركة محمد بن عبد الوهاب، فإنهـــا في الحق، وكما يقول الدكتور محمد اقبال: "كانت أول نبضـــات الحيـــاة في الإســـلام الحديث، وقد كانت هذه الحركة مصدر إلهام بصفة مباشرة أو غير مباشـــرة لمعظـــم الحركات الإسلامية الكبرى في آسيا وأفريقيا"[1]

---

[1] الدكتور محمد إقبال: تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود العقاد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٥، ص ١٧٧.

obeikandl.com

مراجع الدراسة

١- ابن تيمية:

١- العبودية ، جـ١ المكتب الإسلامى

٢- قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة، جـ١ المكتب الإسلامى، ١٣٩٠ هـ.

٣- الواسطه بين الخلق والحق، جـ١ المكتبة العلمية، لاهور

٢- ابن رشد:

الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة، القاهرة ١٣٢٨هـ.

٣- أبو الوفا التفتازانى (الدكتور):

١-علم الكلام وبعض مشكلاته، دار العربى،١٩٦٦م.

٢- مدخل إلى التصوف الاسلامى، دار الثقافه للنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٧٩م.

٤- الأشعرى:

مقالات الاسلاميين، نشرة ريتر، استانبول، ١٩٢٩م.

٥- الآمدى (سيف الدين):

الإحكام فى أصول الأحكام ، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

obeikandi.com

٦- البغدادى (عبد القاهر):

الفَرق بين الفِرق، القاهرة ١٣٢٨هـ/١٩١٠هـ.

٧- جـــــــــــــــب:

دور العرب الحديثة فى الإسلام: ترجمة المكتب التجارى، بيروت، ١٩٦١م.

٨- حسن أحمد محمود (الدكتور):

دور العرب فى نشر الحضارة فى غرب أفريقية، المجلة التاريخية المصريـــة، العـــدد ١٤، ١٩٦٨م.

٩- حسين بن غنام:

تاريخ نجد (روضة الأفكار والأفهام) ، تحرير ناصر الدين الآسد.

١٠- دائرة المعارف الاسلامية:

الترجمة العربية، جـــ٥،كتاب الشعب ، القاهرة.

١١- السلّمى (أبو عبد الرحمن):

طبقات الصوفية، تحقيق الأستاذ نور الدين شريبه، مكتبة الخـــانجى، الطبعـــة الثانيـــة، ١٩٦٩م.

١٢- الشعرانى (عبد الوهاب):

الطبقات الكبرى، القاهرة، ١٣٤٣هـ.

obeikandl.com

١٣- **الشهرستانـــــــــى:**

المِلَل والنِحل ، تحقيق سيد كيلانى، القاهرة ، ١٩٦١م.

١٤- **عبد الكريم الخطيب:**

الدعوة الوهابية، مطبعة القاهرة ، ١٩٧٤م.

١٥- **عبـــــد الله يوسف شـــــبل:**

تاريخ نجد والدولة السعودية، طبع بمطابع جامعة الإمام مُحمـــد بـــن ســعود الإسلامية ، الرياض

١٦- **الغـــــــــــزالى (أبو حـــــــامـــد):**

١- إحياء علوم الدين، القاهرة ، ١٣٣٤ هـــــ.

٢- المنقذ من الضلال، بهامش الإنسان الكامل، القاهرة، ١٣١٦ هـــ.

١٧- **القشيرى (عبد الكريم):**

الرسالة القشيرية، نشر الدكتور خير محمد حسن ، باكســـتان، ١٣٨٤ هـــ/ ١٩٦٤م.

١٨- **محمد أبو زهـــــــره:**

تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربى، بدون

٢٩- محمد إقبال (الدكتور):

تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود ، القاهرة. لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٥ م.

٣٠- محمد بلو عثمان بن فودى:

انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، طبع دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤م.

٣١- محمد بن عبد الوهاب:

١-القسم الأول من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، "العقيدة والآداب الإسلامية " نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢- القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، "الرسائل الشخصية" ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣- مجموع رسائل المنار، القاهرة، سنة ١٣٤٠هـ.

٣٢- المـــــــــــــلطى:

"التنبية والرد على الأهواء والبدع"، استانبول، ١٩٣٦م.

23-Brivar; A.D.H The Wathigat Ahl Al- Sudan.

A Manifesto of the Fulani Jihad, Journal of African History, Vol. 110,no2, 1961.

obeikandl.com